

وحتى الحرب العالمية الاولى ، لم تكن عمليا الا حركة هامشية من حيث وزنها بين اليهود ، بدلالة انعدام تأثيرها ، على الاقل ، على التغييرات السكانية اليهودية المهمة التي وقعت انذاك . فخلال تلك الفترة ، ولاسباب لا مجال لشرحها هنا ، هاجر من روسيا القيصرية وبولوتيا الخاضعة للحكم القيصري - وهما البلدان اللذان ضمما انذاك اكبر التجمعات السكانية اليهودية في العالم - نحو مليونين ونصف مليون يهودي ، اتجهوا جميعا الى اميركا (وارسوا بذلك الاسس لتجمع يهودي اخر هناك ، نما وكبر حتى اصبح اليوم اكبر التجمعات اليهودية في العالم، بعد ان وصل عدد افراده الى حوالي ٦ ملايين نسمة، يشكلون قرابة ٤٠٪ من اليهود في العالم) ، بينما توجه نحو ٥٠ الف مهاجر فقط الى فلسطين . وقد عادت اكثرية اولئك المهاجرين الذين دخلوا فلسطين ونزحت ، على كل حال ، عن البلد فيما بعد ، خصوصا خلال الحرب العالمية الاولى . كذلك ينبغي التنويه ان الصهيونية ، كعقيدة ، لم تكن منتشرة بين اليهود انذاك ، اذ ان الافكار الدينية المورعة ، المعادية حكما للصهيونية ، او الثورية او الاشتراكية ، خصوصا باتجاهاتها البوندية ، كانت هي الطاغية لدى الشباب اليهودي ، على الاقل داخل التجمع اليهودي الكبير في روسيا القيصرية وبولوتيا .

الا ان تغييرا ما طرأ على مركز الصهيونية بين اليهود مع نهاية الحرب العالمية الاولى ، بصدور وعد بلفور والتزام بريطانيا بموجبه بانشاء « وطن قومي » لليهود في فلسطين ، ثم اقرار الانتداب البريطاني على البلد ، واساسه التعهد بالمساعدة على تنفيذ المشروع الصهيوني ، من قبل عصبة الامم ، مما ساعد الصهيونيين على الادعاء ، امام اليهود قبل غيرهم ، ان حركتهم « محترمة » وتحظى بتأييد عالمي . ولكن حتى ذلك لم يجد الصهيونية نفعا كبيرا ، ولم يساهم في اقناع الجماهير اليهودية بتأييدها او دفعهم الى المشاركة في عملية بناء « الوطن القومي » ، الذي كان يمتنى بالفشل ، في مراحلها الاولى ، لاعراض اليهود عن دعمه ، بشريا وماديا . وكان احجام اليهود عن دعم المشروع الصهيوني ، حتى بعد « تينيه » من قبل الهيئة الدولية الرئيسية انذاك ، عصبة الامم ، قد وصل حدا ظهر مغه كائن على التاريخ اليهودي ان يتخذ مسارا اخر، لكي يكتب لذلك المشروع النجاح . وهذا ما تم فعلا ، وذلك بتكاتف عدد مسن العوامل المختلفة ، في بلدان عدة ، وعلى اكثر من صعيد ، ساهمت بمجموعها في الاساءة الى اوضاع اليهود عامة ، وفتحت بذلك الطريق امام الصهيونية للافادة منها من جهة اخرى .

فخلال النصف الاول من العشرينات مثلا ، فرضت قيود شديدة على الهجرة من أوروبا الى اميركا - وهي انذاك محط انظار المهاجرين اليهود ، خصوصا من أوروبا الشرقية - بينما بقيت فلسطين البلد الرئيسي المفتوح لاستيعاب مثل اولئك المهاجرين ، ضمن سياسة انشاء « الوطن القومي » اليهودي . ولذلك ،